

عباس شبلاق في «هجرة أو تهجير»: تعزير فهمنا لتاريخ يهود العراق المضطرب

محمود شريح

عباس شبلاق في «هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق» الصادر عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية»، يسبر غور الأوضاع التي أحاطت بتهجير يهود العراق إلى «إسرائيل» بعد قيام الدولة العبرية، وما لبسها من أدوار أذنتها أساساً الحركة الصهيونية، وساندتها قوى أجنبية ومحلية متنفذة، ساهمت في تعزيز الدولة العبرية وفي ولادة «مسألة يهودية» في الشرق.

هي دراسة لحالة يهود العراق وهجرتهم الجماعية إلى «إسرائيل» في الفترة 1950 – 1951، ينهض بها زميل باحث في جامعة «أوكسفورد»، معني بدراسات الشتات والهجرة القسرية للاجئين وعديمي الجنسية داخل بلادهم وخارجها، خصوصاً في منطقة الشرق الأوسط.

يبدأ شبلاق حيث توجب البداية، وجد نفسه خلال عمله في مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت في مطلع السبعينات من القرن الماضي ضمن حلقة ضيقة تضم باحثين ونشطين سياسيين مهتمين بدراسة العلاقة بين الحركة الصهيونية ويهود الشرق. ويشكل هؤلاء نصف السكان في «إسرائيل»، وجاء معظمهم من دول عربية. وكانت غالبية جبل النكبة من الفلسطينيين ممن عاشوهم في فلسطين تسميهم «اليهود العرب»، وأخذ مركز الأبحاث الفلسطيني ينشر بعض المقالات عن أحوالهم ونضالاتهم المطالبة بالمساواة وعدم التمييز.

ويتابع ما كان يصدر عنهم من بيانات ونشاطات احتجاج تتقوم بين منظمات، مثل «الفيود السود»، إضافة إلى ما كانت تنتشره منظمات وأحزاب يسارية، أبرزها «الحزب الشيوعي الإسرائيلي-راكح»، الذي كان قد انضم إليه عدد من اليهود العراقيين الشيوعيين.

وأدى بعض القياديين في منظمة التحرير اهتماماً بالموضوع آنذاك، وصدر قرار عن جامعة الدول العربية عام 1974، يطلب من المنظمة، بدعو من يرغب من اليهود العرب العودة إلى بلد عربي الأصل.

وبعد انتقاله للعيش في لندن، جمعت أوضاع الدراسة والعمل بعدد من اليهود العرب، وفي معظم تلك اللقاءات كان يطرح على كل منهم أسئلة تتعلق بظروف هجرتهم وأوضاعهم وتطلعاتهم. وأتاح له المصادر المتوفرة في المكتبات الجامعية في لندن، وفي مركز الوثائق البريطاني، إضافة إلى موجودات مركز الوثائق الوطني في بغداد، فرصة نادرة لإنجاز هذه الدراسة على رغم انشغاله بالعمل الصحافي في تلك الأثناء.

صدر هذا الكتاب بالإنكليزية عن «دار الساقي» في لندن، في طبعته الأولى عام 1985، وفي طبعته الثانية منقحة قليلاً عام 2005، وأيئت الأوساط الأكاديمية والإعلامية في الغرب اهتماماً به، وذلك لندرة ما كتب عن الموضوع. كما قرّرت جامعات أميركية عدة، معنية بالدراسات الشرق الأوسطية، اعتباره أحد المراجع المتعلقة بهذه الدراسات، خصوصاً ما له صلة بوضع الأقليات، والصراع العربي-الإسرائيلي، وتاريخ الحركة الصهيونية ودراسات ما بعد الكولونيالية. واعتبر الكتاب عملاً ريادياً، أو طلائعياً في موضوعه.

يرى الباحث شبلاق أنّ السبب الأول في ذلك يعود إلى عدم ظهور كتب تتناول أوضاع يهود العراق بعد هجرتهم، خصوصاً رواية خروجهم نفسها وما رافقها من ملامسات. وربما كان ذلك بتأثير الفاجعة التي نزلت بهذا الطائفة المتجزئة بعد اقتلاعها من وطنها العراق وترحيلها الجماعي إلى «إسرائيل»، وكان ثمة كتب باللغة العبرية ألفها مبعوثون صهيونيون أوفدهم الحركة الصهيونية إلى العراق، قد نشرت في «إسرائيل»، وقام مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد، وبالتعاون أحياناً مع مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير في بيروت، بترجمات محدودة التوزيع لهذه الكتب عكست طريقة تفكير المؤسسة الصهيونية الاشتراكية في فلسطين في تلك الفترة في التعامل مع يهود الشرق. ووضع هؤلاء المبعوثون، وهم أساساً أوروبيين، تقارير عملائية عن مهماتهم في العراق من وجهة نظر استشراقية، ومن منظور العلاقة ذاتها بين السلطات الاستعمارية وسكان المستعمرات، ومن دون فهم مجتمعات وثقافة الطوائف اليهودية فيها. وفي الواقع، لم يكن هناك دوافع كاتمة، أو «مسألة يهودية»، لحمل اليهود العرب الأصليين على الهجرة.

وثمة سبب ثانٍ للاهتمام الذي حظي به هذا الكتاب، وهو أنّ الكتاب الأول المستند إلى الوثائق العراقية والبريطانية التي أفرج عنها والمتعلقة بهجرة هذه الطائفة على النحو الذي تمت فيه، إذ كانت هجرة من دون رغبتها، ومن وراء ظهرها، وساهم في تنفيذها أكثر من طرف محلي ودولي، ويتخطى مسبق من الحركة الصهيونية.

يعود بنا شبلاق إلى سرد رواية الهجرة منذ بدايتها: لم يكن يهود الشرق في الأساس جزءاً من المشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين. إن دراسة حالة يهود العراق، وهجرتهم الجماعية إلى «إسرائيل» في الفترة 1950 – 1951، ربما تكون النموذج الأقل تحليل العلاقة بين الحركة الصهيونية ويهود الشرق وفهمها، والعرب منهم خصوصاً. ولعل أهم تلك الاعتبارات قدم يهود العراق، وتجزئهم فيه، وحفاظهم على هويتهم الثقافية عقوداً طويلة في إطار مجتمع متنوع الديانات والأعراف، في تجربة غنية وفريدة، فلم يحدث في العراق هجرة لليهود الأوروبيين الذين وفدوا إلى المنطقة العربية من المغرب العربي ومصر، على سبيل المثال، إذ إن يهود العراق مندمجين، أي حبيدي، في تقاليدهم الاجتماعية ولغتهم، في المجتمع العراقي، ويربون أنفسهم، كما ينظر إليهم مجتمعهم، مواطنين عراقيين، ولم يخترقوا أنفسهم، أي امتداد تاريخهم، أقلية قومية، إنما طائفة دينية. أما علاقتهم بفلسطين فبقيت محصورة في الإطار الديني وزيارة القمامات والمراكز الدينية اليهودية فيها. ولم تؤد عوامل الطرد، أو الإقصاء الاجتماعي الكاملة، أي دور في دفعهم إلى الهجرة، كما حدث في دول أخرى. إلا إن مكانتهم الاقتصادية وقربهم من مركز السلطة إبان العهد الملكي الموالي للبريطانيين، جلبا لهم في بعض الأحيان قدرًا من سطخ عناصر قومية متطرقة وغيرتها.

وعندما أعاد البريطانيون احتلال العراق في صيف 1941، وقعت أعمال عنف وقتل ونهب في بغداد، سُميت



عاصي

ذائقة المتلقي وتوجيهها نحو الشعر الحقيقي والصحيح». وقال الشاعر حسن شهاب الدين: «أناسعيد جدا الوجودي في لبنان بين كوكبة من الشعراء اللبنانيين في حفل توقيع الديوان، وهذا خير دليل على ما تقوم به الحركة الثقافية اللبنانية من جهد. نطمع ونطمح أن تمد بنحيتها على مستوى العالم العربي. النشاط ملحوظ جدا نضًا، هناك أيضاً قصائد وطنية لها علاقة بهموم المواطن اللبناني والعربي بشكل عام». ويضيف عاصي: «الشاعر ابن بيته، عليه أن يكتب المشاكل الموجودة التي يعيشها، إضافة إلى الهواجس الداخلية التي تنتج في داخل الإنسان، وقد أهديت ديواني لكل إنسان ما زال يحتفظ بضوء وجدّ وإنسان في داخله، ولهذا السبب أسميت ديواني لو أن الضوء ينام، فهذه العجاية تحمل وجهاً عدة، إذ ربما يكون الضوء حياً أو عدلاً أو أي أمر جميل».

وشكر عاصي «الحركة الثقافية في لبنان» على هذه السابعة التي قدّمها للشعراء، وقال: «إننا اليوم نعانى من تسوّهات طرأت على الشعر والأدب، واعتبر أننا بحاجة إلى تنقية

بدورها، قالت الشاعرة علا خضارو: «برأيي، الشاعر لا يُصنع، الشاعر يُولد. أما ديواني فيحتوي على عدّة قصائد وطنية، وجدانية، ومواضيع متنوعة، وفيه رسالة شكر وعرفان لكل إنسان وقف لي جانبي ودعمني، وأتمنى من كل شخص يقرأ ديواني، أن يشعر أن الديوان موجهٌ إليه. استغرق التحضير للديوان سنتين، وأقدم شكري وامتناني للحركة الثقافية في لبنان، التي تضم رواد الثقافة في لبنان والعالم العربي، وهذا شرف كبير لي أنهم أعطوني ثقتهم وأن أصبح ديواني من طريقهم».

وقال الشاعر مصطفى الصلح: «إنه مشروع هام جداً ما تقوم به الحركة الثقافية في لبنان، فإن تنظيم حفل توقيع مشترك لأربعة شعراء إضافة إلى نشر هذه الدواوين أمرٌ عظيم. والمميّز أن كل شاعر ينتمي إلى لون شعري مختلف الآخر. أشكر الحركة الثقافية على الجهود الجبارة في تنظيم هذا النشاط الذي اعتبره حالة وطنية وثقافية بعيدة عن جو الحقن الطائفي والسياسي الذي نعيشه اليوم في لبنان من تظاهرات وأحداث». وعن ديوانه يقول: «ديواني متنوع ويعالج مجموعة قضايا وطنية، إضافة إلى جزء من الغزل الهادف، وجزء من القضايا الاجتماعية».

وأضافت: «علينا التوجّه إلى فئة الشباب بخطاب مختلف ورسالة ثقافية تعتمد على مشاركة الحركة والموسيقى والإيماء لإيصال فكرة بشكل غير مباشر لكنها تخدم القضية الأكبر». وأوضحت صعب أنه تنقياً لتوجهات وزارة الثقافة، قامت مديرية الثقافة في ريف دمشق بالتركيز على المسرح كونه أياً للفنون، وخدمة لشعراء، لكن الوطن والمقاومة عنواننا الأجل»، إضافة إلى التمسك بكل الطاقات الشابة من كتاب وفنانين وممثلين الذين ما زالوا صامدين وتمسكين بوطنهم ورسالتهم الثقافية والوطنية، وتشجيعهم وإعلانهم فرص الإبداع بغية الارتقاء بالواقع الثقافي وخلق بيئة ثقافية واجتماعية ملتزمة بقضايا وطنها.

ويشارك في العمل الذي يستمر لغاية الثامن والعشرين من تشرين الأول الجاري مجموعة من الممثلين منهم سمير اللوجي، أنور النصار، إميل حنا، ديابا العلي، لين حديد، وياسين البخاري، المرخرج المساعد أنور نصار. والإضاءة ليدر قليبش وتصميم الديكور غايز ملج وعدنان كرم، والمعالجة الدرامية لإميل حنا، ومدير الفرقة أيمن القاضي.



خضارو

«في حفل التوقيع، هناك مجموعات شعرية متميّزة، حسن شهاب الدين اسم مميّز على مستوى مصر، وهو في طليعة شعراء هبة الليل، له تجربة كبيرة، وسبق أن أصدر عدداً من المجموعات الشعرية ونال جوائز عربية من جهات عدة. أما اليوم فيقدم مختارات شعرية. مجموعة خليل عاصي هي تجربته الشعرية الأولى، ولكن خليل اسم صاعد بسرعة غير متوقعة. فمن يقرأ هذا الديوان سيشعر أن خليل عاصي تجربة شعرية سابقة. شعر مصطفى صلح يمتاز بالقصيدة العربية الأصلية، بالالتزام بمحور الشعر وقيل من الميل إلى التفعيلية، لكن تجربته هي تجربة عربية، تجربة منبرية. إلى الآن هو صوت مميز بين الشباب في لبنان. أما علا خضارو، فتجربتها الشعرية الثالثة ممتازة، وصوتها الشعري ما زال يشقّ طريقه باتجاه الوصول إلى استقرار. أعتقد أن التوقيع سيكون مميزا، ويسقدم الشعراء كل جميل».

وقال الشاعر خليل عاصي: «أنا أكتب الشعر منذ زمن، لدي عدد من القصائد لكنني لم أنشرها.



شهاب الدين وشويخ

دعوة إلى التكتاف والاتحاد والعمل من أجل إعمار سورية «أبناء الياسمين» عرضاً مسرحياً في دمشق

وقال مخرج العمل مؤيد أحمد إن الهدف من هذا العمل دعوة الشعب السوري إلى التكتاف والاتحاد والعمل جميعاً من أجل إعمار سوريا وإعادة الحياة إلى ما كانت عليه قبل الأزمة. وأن نعي جميعاً أنّ ما تعرّضنا له خلال هذه السنوات كان بهدف تدمير بلدنا وحضارتنا وترفنا.

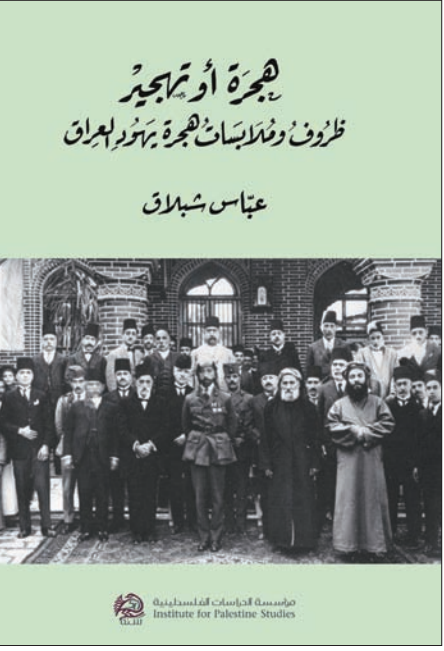
وأضاف صاحب مسرحية «الطوفان» أن هذا العمل قدّم 11 ممثلاً وممثلة، بعضهم من الممثلين المحترفين وآخرون من طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية والمنتسبين إلى نقابة الفنانين. مشيراً إلى أنّ الممثلين استلحقوا تادية أنوارهم بطريقة جيدة لاقت استحسان الجمهور.

وقالت مديرة الثقافة في ريف دمشق ليلى صعب إن المسرح هو الجذرى الحي الذي تتولد منه كل أنواع الثقافة، وهو اليمع التي تلقني عندها احتياجات الإنسان الجمالية والذمئية. ويمكن للمسرح أن يؤدي دوره إذا وظّف بطريقة صحيحة وحضارية، وأن يكون مدرسة للأخلاق والقيم الإنسانية. ولا يمكن العمل بالثقافة إذا لم يكن المسرح على رأس اهتماماتنا، خصوصاً في هذه الظروف.

أقامت مديرية ثقافة ريف دمشق مساء أول من أمس، لمناسبة أعياد تشرين، عرضاً مسرحياً عنوانه «أبناء الياسمين»، من تأليف مؤيد أحمد وخارجة، وذلك على مسرح «صالة الثامن من آذار» في دمشق.

تحدث العمل على مدى ساعة وعشرين دقيقة عمّا حلّ في سورية خلال السنوات الخمس الماضية، وكيف كانت بلد الأمن والأمان والحضارة والأجندية الأولى، وما حل بها على أيدي التنظيمات الإرهابية التي عاثت فساداً ودماراً وتخريباً فيها. وتطرّق مخرج العمل بطريقة غير مباشرة إلى الآثار السلبية التي ظهرت على الشعب السوري نتيجة الأزمة وانعكاساتها على كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، منيها في نهاية العرض إلى ضرورة التكتاف والاتحاد لمصلحة سورية وشعبها.

واستطاع الممثلون عبر تجسيدهم عدّة شخصيات متنوّعة منها اللص والعجوز والشاعر وجامع الجثث، من إيصال المراد من أدوارهم بطريقة فنية لاسمها الجمهور بالسلوب بسيط وواقعي.



عناص

«الفهود»، واستمرت لثلاثة أيام، وأصابت اليهود كثيرهم في غياب الدولة بعد إسقاط حكومة رشيد عالي

ومع ذلك، كانت الأحداث في فلسطين يتردّد صداها في الدول العربية، إذ تضامن الشعب العراقي، بإطافه كافة، مع الفلسطينيين، مستنكرًا المذابح ضدّهم في أواخر العشرينات وخلال الثورة الكبرى في الفترة 1936-1939، وشكّلت هيئات ولجان التضامن والدعم شارك فيها بعض اليهود. لكن فلسطين ظلت بالنسبة إلى اليهود العراقيين بعيدة وغير جذابة.

يرى شبلاق أنّ ذلك تزامن مع سعي العراق، العربي، إلى تجديد نشاطها في العراق مع عودة البريطانيين إليه خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها، فأودت بمعوثين عملا في البلد كجزء من القوة اليهودية التي دخلته مع البريطانيين لإسقاط حكومة رشيد عالي الكيلاني، وكذلك في إطار العمل مع شركة «سوليل بونيه» اليهودية للإنشاءات، ومقرّها فلسطين، والتي نفذت، برعاية البريطانيين، عددا من المشاريع في الدول العربية، ضمينا العراق. وقام هؤلاء المبعوثون، وهم من الأوروبيين الموفدين من فلسطين إلى العراق، بتخزين الأسلحة والسعي إلى تدريب عدد من الشبان اليهود العراقيين بحجة الدفاع عن يهود العراق، واستغلال أحداث «الفرهود» التي تم تجاوزها، إلا أنهم فوجئوا بعدم استجابة يهود العراق لدعواتهم، كما عكست ذلك تقاريرهم التي قدّموا إلى قياداتهم في فلسطين، وبقيت فلسطين، ولاقاً «الكيان العبري»، لا تشكّلان لليهود العراق مكاناً جذاباً، أبديولوجياً واقتصادياً.

وبعد الأحداث الكبرى التي شهدتها العراق إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها، اتجه المثقفون اليهود إلى الخروج عن الموقف التقليدي الداعي إلى العزوف عن العمل السياسي، فقد كان موقف زعامة الطائفة، المتمثلة في رجال الدين وفقرة رجال الأعمال، يتركز إلى الحفاظ على علاقات قوية بالبنخبة السياسية الحاكمة الموالية للبريطانيين، وجاء هذا الخروج بسبب شعور هؤلاء المثقفين بأنهم جزء من الشعب العراقي، وبضرورة الاندماج في الحراك السياسي المطالب بالتحزّن والإصلاح الديمقراطي والعدالة الاجتماعية. وهكذا التحق عدد من الشبان اليهود والحزب الشيوعي المظهور من السلطات، وعضوية مناضحة الصهيونية المنتخبة منه، كما شارك آخرون في الحزب الوطني الديمقراطي ممثلاً في جماعة الأمل، وكان هذا التيار أقرب إلى تطעות هؤلاء المثقفين من التيار القومي العربي الممثل أساساً في حزب الاستقلال كحامل للثأليات. وجزيت عصية مكافحة الصهيونية عددا كبيرا من الشبان اليهود إلى صفوفها، خلال عمرها القصير قبل أن تحلها السلطات، وعملت على تنبيه الجمهور إلى الطابع الاستعماري للحركة الصهيونية، وفجّدت دعائها مؤكدة أنّ الديانة اليهودية لا تشكل أساساً مجموعة قومية.

هذه، يرى المؤلف أنّ الحركة الصهيونية تبنّت المنظور الاستعماري الأوروبي وأساليبه بالكامل، وذلك عبر اقتلاع يهود الشرق بصورة قسرية، ونفي موروثهم الثقافي وروايتهم وتاريخهم الحافل الممتد قرونًا طويلة في الدول العربية. إذ بدأ جهاز الاستخبارات «الإسرائيلي» يوفد معوثين إلى العراق ليث القائل وتبئية الأجواء لحمل اليهود على الهجرة إلى الكيان العبري.

يستفيد شبلاق من الوثائق البريطانية ويرى أنّ بريطانيا سعت في خريف 1949، لحاقًا على نفوذها المتراجع في المنطقة العربية، إلى إقامة حلف غربي يضمّها هي والولايات المتحدة الأميركية و«إسرائيل» وعددا من الدول العربية، بينها العراق والأردن، في ظل الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي الغربي. ورات بريطانيا ضرورة التوصل إلى تسوية سياسية لإنهاء الصراع في فلسطين من أجل إمكان نجاح الحلف المقترح. وتقدّمت في هذا الإطار بمشروع لتبادل السكان بين يهود العراق والأجانب الفلسطينيين ولتوطئ الألاف من هؤلاء اللاجئين في العراق، على أن يتم ذلك بصورة اتفاق رسمي توقعه الحكومتان العراقية والإسرائيلية».

مؤلف عباس شبلاق هذا عن هجرة يهود العراق إلى الدولة العبرية عقب إنشائها، يعزّر فهمنا لتاريخ يهود العراق المعقد والمضطرب، وريادته.

الشهيد خالد الأسعد ينال جائزة «المعرض المتوسطي للسياحة الأثرية»

الإضرار التي تتعرض لها المواقع السياحية والأثرية، بمشاركة رئيس دائرة سياحة تدمر سابقاً محمد صالح، والمستشار العام لدرافيسكو، والبروفسور بالوب مائيه عالم الآثار الإيطالي، ومكتشف ملكة إيبالا وبعض المتخصصين بالسياحة والآثار.

الأثرية في مقاطعة ساليرنو الإيطالية، ويقام هذه السنة من 29 تشرين الأول ولغاية 1 تشرين الثاني. ويتضمّن المعرض عدداً من الندوات العلمية والتخصصية في مجال التطوير السياحي وإدارة المواقع الأثرية، ومنها ندوة حول

أعلنت وزارة السياحة السورية أنّ إدارة المعرض المتوسطي للسياحة الأثرية، ستعقد جائزة هذه السنة للعالء الأثري الشهيد خالد الأسعد الذي اغتالته التنظيمات الإرهابية المسلحة في تدمر. وأوضحت الوزارة أنّ المعرض يقام سنوياً في مدينة بايستوم

